قال أبو الحسن بن الموفق رحمه الله :

لما تم لي حج ستين حجة ؛ خرجت من الطواف ، وجلست بحذاء الميزاب ، وجعلت أتفكر : لا أدرى أى شئ حالى عند الله ؛ وقد كثر ترددي إلى هذا المكان. فغلبتني عينى، فكأن قائلا يقول: يا على ! ، أتدعو إلى بيتك إلا من تحبه ؟!

الله

والله سبحانه يحب من يحبه ، لا يمكن أن يكون العبد محباً لله ، والله تعالي غير محب له ، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له

وهو سبحانه لطيف بعبده ...

(اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) فالله حفيٌّ رفيقٌ بارٌ بعبده براً كان أو فاجراً ، وهو سبحانه أرحم بعبده من الأم بولدها ، ونبيه أقسم (والله لا يُلقي الله حبيبه في النار)

وهو سبحانه عند ظن عبده و لا يجمع عليه خوف الدنيا والآخرة ؛ قال الله (وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين ، إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة)

وهو سبحانه إذا أحب عبداً ابتلاه ، فهو سبحانه لم يبتلك إلا ليقربك إليه ، وهو سبحانه غني عن إيذائك (مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ)

وهو سبحانه يحب أن يكلم عباده فقال لنبيه (قُل لعبادي) ويحب أن يسمع صوتهم بدعائه ،كما في الأثر يقول الله عزوجل (انطلقوا يا ملائكتي إلى عبدي ، فصبوا عليه البلاء صبًا ! فيصبون عليه البلاء ، فيحمد الله، فيرجعون، فيقولون: يا ربنا صببنا عليه البلاء كما أمرتنا فيقول: ارجعوا فإني أحب أن أسمع صوته)

وهو سبحانه عند ظنك ؛ قال الله (عبدي ؛ أنا عند ظنك بي ، وأنا معك إذا دعوتني)

قال سفيان بن عيينة : لا يمنعن أحدا الدعاء ما يعلمه – تقصيرا– في نفسه ، فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه ، وهو إبليس حين قال: (رب أنظرني إلى يوم يبعثون)

وهو سبحانه لا يحب أن تكون شكاية عبده إلا له ؛ قال الله (إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ ، وَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ أَسَارِي ، ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ ، ثُمَّ يُسْتَأْنَفُ الْعَمَلَ)

وهو سبحانه لا يمنع عبده المؤمن شيئاً من الدنيا إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له . وليس ذلك لغير المؤمن . فإنه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس ، ولا يرضى له به ليعطيه الحظ الأعلى النفيس . والعبد لجهله بمصالح نفسه وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه ، لا يعرف التفاوت بين ما منع منه وبين ما أدخر له . بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دنيئاً ، وبقلة الرغبة في الآجل وإن كان علياً .

ولو أنصف العبد ربه ، وأنى له بذلك ، لعلم أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك ، فيما منعه إلا ليعطيه ، ولا ابتلاه إلا ليعافيه ، ولا امتحنه إلا ليصافيه ، ولا أماته إلا ليحيه ، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلة إليه .

فمتى فتح لك باب الفهم عاد المنع عين العطاء ؛ متى أعطاك أشهدك بره، ومتى منعك أشهدك قهره؛ فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه عليك.

إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه ..

لا همّ مع الله ..

فهو سبحانه يحب أن تفر إليه وتقبل بكُليتك عليه ، فتفرّ من ضيق صدرك بالهموم والغموم والأحزان والمخاوف ، من جهة نفسك وما هو خارج عنها من أسباب مصالحك ومصالح من يتعلق بك ، تفر إليه من مالك ... من بدنك .. من أهلك بل ومن عدوك ... إلى سعة فضاء الثقة بالله وصدق التوكل عليه وحسن الرجاء لجميل صنعه بك ، وتوقع المرجو من لطفه وبره (فَفِرُّوا إِلَى اللَّه)

(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً) مخرجاً من كل ما ضاق على الناس فرجاً من كل شدة من شدائد الدنيا والآخرة ... مخرجاً مما نهاك عنه

(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)

وهو سبحانه لا يخيب رجاء عبده

(فكلما كان العبد حسن الظن بالله حسن الرجاء له صادق التوكل عليه ؛ فإن الله لا يخيب أمله فيه ألبتة فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل ولا يضيع عمل عامل)

وقد سُئل الداراني : ما أعظم عمل يتقرّب به العبد إلى الله ؟

فبكى رحمه الله ثم قال " أن ينظر الله إلى قلبك فيرى أنك لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو "

وناجى بعضهم ربه فقال :

إلهي...

إن كانت ذنوبي قد أخافتني فإن محبتي بك قد أجارتني ..

فتول من أمري ما انت اهله ..

وعد بفضلك على من غره جهله...

يا رب . . .